



قبل إن من بين أسباب التدخل الروسي في سورية موازنة التدخل الإيراني أو تقاسم موسكو مع طهران الإمساك بالورقة السورية.

لكن لماذا التنافس و»الغيرة» بينهما إذا كان هدفهمما، بحسب ما تعلنان، واحداً، وهو الدفاع عن الأسد ونظامه؟

فهل تصرح كل من الدولتين بما لا تضمر؟

الواقع أن كلاً منها مقتنع بأنه لم يعد هناك أي احتمال، في ظل موازين القوى الحالية، لاستعادة سورية الموحدة تحت حكم النظام القديم، وأنه لا بد مرحلياً من المحافظة على المناطق التي لا يزال بشار الأسد يسيطر عليها، بعدما تفلص كثيراً دوره في تحديد المسارين السياسي والعسكري لبلاده، بانتظار التوصل إلى تسوية دولية تعيد توحيد سورية.

لكن لموسكو وطهران رؤيتان مختلفتان إلى شروط هذه التسوية ومراحلها تعكسان مصالح كل منهما، ولا تتفقان بالضرورة: من يفاوض ومن يشرف على التطبيق ومن يتمثل في المرحلة الانتقالية وما يليها، وأي مستقبل لمختلف الأطراف السوريين.

ففي حين ترى روسيا ضرورة المحافظة على النواة الصلبة للجيش السوري والمؤسسات الدستورية وترى لها دوراً في إعادة البناء، عملت إيران تدريجاً على إضعاف الأسد وتعزيز دور صنيعتها اللبناني «حزب الله» في المقابل، لأنها لا تثق بالخلفية «البعثية» لمعظم ضباط الجيش ورجال الرئيس، حتى لو كان الحزب مجرد غطاء لحكم الطائفة العلوية.

وتعتقد طهران بأن الوسيلة المثلث لبقاء نفوذها في سورية الراهنة والمستقبلية، تكمن في اعتماد النموذج الذي طبقته في العراق عندما فرضت عبر حلفائها من الأحزاب والتنظيمات الشيعية قانون «اجتثاث البعث»، لكن بلا ضجة أو إعلان هذه المرة.

ولهذا أرسلت خبراء وضباط «الحرس الثوري» وميليشيات لبنانية وعراقية وأفغانية، ليحلوا تدريجاً مكان الجيش النظامي الذي أوشك على الانهيار، وليس أن يقاتلوا تحت لوائه وقيادته.

وأدى ذلك مراراً إلى إشكالات بين الطرفين عندما تجرأ الإعلام الموالي لإيران على نسب «الانتصارات» العسكرية إلى الأطراف الإيرانيين وليس إلى الجيش النظامي. حتى أن الإيرانيين تفاوضوا مباشرة مع أطراف في المعارضة السورية على

وقف للقتال محدود مكانياً و زمنياً، وبات الأمين العام لـ «حزب الله» حسن نصر الله يحدد في خطبه مسار المعركة في سوريا ومحطاتها.

وبعد الاتفاق النووي بين إيران والأميركيين، أظهرت طهران استعداداً أكبر للتفاوض على مصير الأسد ونظامه في مقابل مكاسب أخرى بينها خصوصاً مستقبل «حزب الله»، فيما أبدت واشنطن استعداداً لمنح الإيرانيين دوراً أكبر في تحديد مصير سورية، وهذا ما دفع الروس الذين كانوا ينتظرون نتائج المفاوضات بين طهران وواشنطن، إلى التدخل لاستعادة دور الجيش النظامي الذي رعوه طوال عقود وسلحوه ونسجوا علاقات متينة مع كبار ضباطه.

عملياً إذن، كانت إيران مستعدة للتفاوض على الأسد لكنها ليست مستعدة للتفاوض على الحزب اللبناني الذي سعت لجعله الوريث الشرعي للنظام السوري ودوره، وخصوصاً في الكباش الفولكلوري مع إسرائيل. وبعد الخروج السوري من لبنان كان لا بد من تقديم ضمانات بديلة إلى الإسرائيлиين كي يبقوا على «الحياد» في الصراع السوري، ولا أحد أفضل من الحزب يقدر على ذلك منذ حرب تموز (يوليو) 2006 التي أسفرت عن تفاهم غير معلن طبقه «حزب الله» بأمانة، مانعاً أي طرف من الإخلال بالهدوء في جبهة الجنوب التي شهدت سلسلة اختبارات من الجانبين. وعندما أرادت إيران تمرير بعض الرسائل إلى الإسرائييليين استخدمت جبهة الجولان وليس الجنوب اللبناني.

وهذا يفسر استمرار حال الاهتراء وتفاقمها في لبنان، حيث ينتظر الحزب التوقيت المناسب لفرض سيطرته التامة. إذ يفترض بحسب الخطة الإيرانية التي لا تزال قائمة على رغم التدخل الروسي، أن يتم شيئاً فشيئاً دمج لبنان بالدولة العلوية، وأن يقود «حزب الله» جناحها السوري واللبناني، وليس الأسد الذي أثبت فشله في نظر الإيرانيين.

وتتدخل هنا الرؤية السياسية الإيرانية مع الدينية التي ترى في العلوبيين «انشقاقاً» بسيطاً عن الطائفة الشيعية الإثنى عشرية الأوسع، ربما حان وقت تصحيحه.

وقبل أيام، اعترف الجنرال في «الحرس الثوري» محمد علي جعفري بهذه الخلافات، وقال إن الروس ليسوا مرتابحين إلى دور «حزب الله» في سوريا. فهناك عملياً تقطاع روسي - إيراني على ضرورة منع انهيار «سوريا الصغيرة» الحالية، وخلاف على من يقود الكيان الجديد الذي قد ينتج عن أي تسوية، ولمن سيكون ولاؤه.

لكن كل من موسكو وطهران تخفيان نواياهما بالمبالغة في تصريحاتهما عن التمسك بالأسد.

الحياة اللندنية

المصادر: